مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية | ISSN: 2437 - 0363 EISSN 2602-6767 | المجلد 07 / العـدد: 01 (2021)، ص 480- 496

تفكيك العنف والسياسة في فلسفة جاك دريدا

Deconstructing Violence and Politics in the Philosophy of Jacques Derrida

شريف بركة*

[1] جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية barka.c@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/11 تاريخ القبول: 2021/05/29 تاريخ النشر: 2021/06/23

ملخص:

يتمحور موضوع بحثنا هذا حول استراتيجية تفكيك نص العنف والسياسة في فلسفة جاك دريدا ، من خلال تفكيك المركزية العقلية الغربية logocentrisme occidentale القائمة على ميتافيزيقا الحضور والمركز و الخاص التي سيطرت على الفكر الغربي المعاصر من العصر اليوناني إلى عالمنا المعاصر، مما دفعنا لتسليط الضوء على هذا الموضوع مع محاولة إعادة قراءة وتفكيك و إبراز دور العنف خصوصا عنف الميتافيزيقا في تكريس هذه المركزية حتى في مجال السياسة كتسويق للإرهاب الدولي ورعايته لأجل مصالح اقتصادية وتبرير تنفيذ وإلغاء عقوبة الإعدام لأغراض سياسية وإيديولوجية . مع تقديمنا لنظرة استشرافية للعالم الجديد وفق المنظور الدريدي .

كلمات مفتاحية: التفكيك ،العنف ، الحدث ، الخاص .

Abstract :

my topic centers around the dismantling of the text of violence and politics in the philosophy of Jacques Derrida ,through the dismantling of the western centralism that dominated contemporary Western thought from the Greek era to our contemporary world, which prompted us to shed light on this topic by highlighting the role of violence in consecrating this centrality even in the field of politics as marketing For international terrorism for the sake of economic interests and justification for carrying out the death penalty for political and ideological purposes.

Keywords: deconstruction; violence; western centrality; event.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

كثيرا ما يقال أن علاقة جاك دريدا بالسياسة وفلسفة الحق متواضعة جدا مقارنة بما قدمه الآخرون في هذا المجال، ولأن دريدا لم يكن في الحقيقة رجل قانون أو فيلسوف قانوني ولا قانوني فلسفي، فهو لا يذكر في هذه المسارح التابعة للقضاء وكثيرا ما يقال أن دريدا ليس له انشغال بهذه المسائل، ولكن لا ننسى أنه عالج هذه المسألة وأضاف أشياء كثيرة لها ولا ينبغي أن نستهين بما قدمه في هذا المجال خصوصا عمله الجبّار في توفير الوسائل الفعالة لأجل جعل الحق لغاية عامة، ليس هذا فحسب إنما نقول أيضا أن دريدا قام بتفكيك الحق (le droit) وأعطى له أهمية بالغة إذ كان يعبر في مقام قوة القانون (force de loi) أن المكان الملائم لتطور التفكيكية هو الحّق حيث يرى مثلا التقنية القانونية لتحرير الأحكام القرارات والتأهيليات هي دليل كافي ومثالي لاهتمامات التفكيكية وليس هذا فحسب إنما حتى فهم العلاقة مع العدالة والحق والقانون وكذا الارتباط الوثيق خصوصا بين الحق والعدالة وأخذت هذه التحليلات أشكالا عديدة ومست مواضيع كثيرة ((le droit pénal) (حق اللّجوء) (الملكية) (الفصل) ، حقوق الإنسان، الحقوق العالمية العامة، (droit public)، الجرائم في حق الإنسانية السيادة ، لهذا يعتبر دريدا عمله الفلسفي وبصفة موضوعية ينصب حول هذا الشيء تحت عنوان الحق (du droit)، وإذا كان كما أشرنا من قبل أي أن العدالة لا يمكن تفكيكها فهي ممكنة مثل تجربة المستحيل بالخصوص أن اهتمام دريدا بمسألة العدالة بالحق الأمر الذي أعطى للتفكيكية تعريفا أو مفهوما عاما ومن أهداف هذا المقال تفكيك النص السياسي المعاصر وفكرة العنف اليوم وعلاقة كل هذا بالمركزية الغربية ، كذلك يروم هذا البحث إلى تبيان حقيقة السياسة الدولية اليوم القائمة على عل مفهوم التكتلات والغلبة ، كما نطمح أيضا الحي إلى تفكيك مسألة عقوبة الإعدام وما تحمله هذه الظاهرة من حساسية كونها تمس بالإنسان نفسه وحياته. ولجعل الموضوع أكثر فعالية وخصوبة ارتأينا إلى اعتماد

وتوظيف االتفكيك وليس المنهج كونه الملائم في مثل هكذا دراسات كاستراتيجية قراءة أولا وتحليل ثانيا، ولما كان موضوع السياسة موضوعا فلسفيا بحتا يستوجب دراسة مستفيضة عمدنا إلى طرح الإشكالية الأتية: هل من علاقة بين تجذر المركزية الغربية بميلاد العنف في عالمنا المعاصر؟

من الصعب الافتراض في مواضيع مفتوحة مثل المواضيع السياسية الفلسفية لكن يمكن التصور والاستنباط والتحليل للأفكار الفلسفية لذا يمكن القول أن هناك علاقة وطيدة بين ميلاد العنف اليوم في عالمنا بتمركز الغرب فكريا واقتصاديا وحتى علميا والتمركز العقلي logocentrisme هو اللبنة الأولى لتمركز القرب في أشكاله المتعددة الأخرى كون هذا التمركز يولد رفض الأخر أو نفي الآخر. وهو ما سنظهره من خلال هذا التحليل في التقرب من فكرة العنف والإرهاب وتفكيكها على أثر استراتيجية التفكيك الدريدي .

2. تفكيك فكرة العنف (الإرهاب نموذجا):

إن الوقوف عند مسألة الإرهاب بالخصوص اليوم الإرهاب العالمي لمشكلة عويصة أقل ما يقال عنها أنها لغز من الصعب فهمه وهذا نظرا لطبيعة الموضوع المرتبط بكثير من القضايا والألوان ويمكن القول أن الكل يرى الإرهاب كوسيلة تستخدم لأغراض سياسية بحتة إلّا الغرب نفسه الذي له نظرة بل يصطنع نظرة أخرى وهو يمكن أن يكون وراء هذا الإرهاب المفتعل لتبيان مركزيته، ولكن أبسط ما يقال اليوم عن الإرهاب أنها مسألة تنبع من أصل عقائدي بالضبط من التطرف الديني الإسلامي الذي يعصف بالأمة الإسلامية شرقا وغربا ولكن يصعب التسليم بهذا القول لأنه ربما ما خفي أعظم، إن قصة الإرهاب بطبيعة الحال في العالم لم تكن لتسمع لولا أحداث 11سبتمبر2001 التي مست وضربت الأبراج العالية في الولايات المتحدة والتي بطبيعة الحال ساهم الإعلام بتضخيمها بشكل رهيب لهذا فإن التعقل في هذا الموضوع والنظر فيه بتمعن يكشف لنا أن حقيقة الإرهاب هي تقريبا غامضة، ويجب إعادة التفكير فيها كحدث نابع ربما من تيارين إيديولوجيين مختلفين، ولو أن هذه الحركات الإسلامية هي نتاج للعولمة الرأسمالية وعلاقتها بالدين

المسيحي فما يبدو يهدد هذه الحركات هو في الحقيقة ما يمنحها الوجود (دريدا، 2003 ،ص 2).

لابد من استخدام مفهوم الإرهاب القديم بحذر لأنه لم يعد يعني معنى الإرهاب اليوم بل تغيرت الظروف والمعطيات، ويدّعي دريدا أن تفكيك مفهوم الإرهاب هو المسلك الوحيد سياسيا المسؤول واستخدامه من طرف الدولة يدعم قضية الإرهاب, Derrida (Habermas, 2004 ,p13) ، لا يمكن الفصل بين إرهاب الدولة والإرهاب المحلي أو العالمي وأنكر أن يكون للإرهاب معنى ثابت أو جدول عمل أو محتوى سياسي ويدعو إلى الانتقال من القانون الدولي الكلاسيكي، إلى نظام عالمي جديد تصبح فيه المؤسسات المتعددة الأطراف والتحالفات القارية هي الفاعل السياسي الرئيسي وهذا يعني معاودة الاتفاق على معنى للسيادة ما يعيد مُثل عصر التنوير كالمواطنة العالمية والحق العالمي الشامل ومفهوم "الجماعة الكونية" التي حلم بها كانط، و لتفادي التهويل في هذا الموضوع ولا ننساق ضمن التيار الغربي بالخصوص الولايات المتحدة الأمريكية التي ضخمت الموضوع إعلاميا وبهدف إعطاء الموضوع أبعادا مختلفة لابد أن نعتبر أحداث 11 سبتمبر وغيرها من الأحداث في أوروبا كغيرها من الأحداث التي تحدث حتى في قلب المشرق العربي بالضبط، إذ ما حدث في العراق وسوريا ليس بمعزل عما يحدث في أوروبا بل الفتك والتدمير والحرب النفسية والأهلية التي مست العراقيين والسوريين لم يعرف لها مثيل إنها مجزرة هذا الزمان بامتياز، ولما نمعن فيها النظر نجد أصلها هو امتداد وسطو هذا الغرب المتحايل الذي يحتقر الدول الفقيرة والنامية وينهب منها ثرواتها. تجدر الإشارة هنا إلى أنه يجب فهم الإرهاب اليوم كظاهرة عالمية ذات بعد سياسي اقتصادي أكثر منه عقائدي وديني بل هذا الأخير تم توظيفه فقط كغطاء، و لا يوافق دريدا تماما تضخيم فكرة الإرهاب بهذا الشكل على الرغم أنه اليوم يزداد انتشارا وقوة ولكنه ليس الحدث الأكثر أهمية سياسيا فالحدث الأكثر أهمية هو تمركز الغرب في هذا العصر لهذا بالخصوص فإن أحداث 11 سبتمبر مثلا

تمثل أو تعكس تمركز الثقافة الأمريكية من خلال توظيف ترسانة من الإعلام بالتهويل والتشهير لحدث كأنه نهاية العالم وكذا مهاجمة الإسلام والمسلمين.

1.2 العنف والمركزية:

إذا أردنا أن نكون تفكيكيين نطرح السؤال ما هو الإرهاب الحقيقي لهذا العصر؟ هل هو التطرف الإسلامي الذي قام بالعمل الإرهابي؟ أم الولايات المتحدة التي لها سلطة على الإعلام بكامله في العالم حيث وضعت العالم أمام وحشية الإرهاب وضخمت من الحدث إلى درجة التخويف والتهويل؟ سؤال يطرحه التفكيك يراد منه الاقتراب من الحقيقة ولو هي مستحيلة، تفرض القراءة الجينيالوجية علينا أن نعود قليلا إلى الوراء وبالضبط ما يقوله الكتاب المقدس في نص التكوين إن الأرض كلها كانت لسانا واحدا ثم أخذ شعبها في بناء مدينة وبرجا رأسه بالسماء ليس فقط ليقيموا ويسكنوا بل ليصنعوا لأنفسهم اسما لئلا يتبددوا على وجه كل الأرض، فنزل الرّب وهدد برجهم، أي برج بابل العظيم حتى يبلبل لسانهم وحتى لا يسمع بعضهم لسان بعض لبعض وعند سقوطه سقط الشعب الواحد وتبدد بالفعل في تبدده اللسان على وجه الأرض، ومن هنا تأتي إلينا كلمة البلبلة من سقوط بابل ومن التبدد وتبدد اللسان في المكان والأرض. (جاك دريدا،2003، ص7)

إنها صورة العظمة التي يريد هؤلاء تكوينها على أنفسهم أنهم مركز العالم باسم الحضارة التي ما فتئ دريدا يفككها وينتقدها، هذا ومن جانب آخر يرى دريدا كما أشرنا سابقا إلى أنه يجب أن نكون حذرين أمام المصطلحات المستخدمة لأن الغرب أو القوى السائدة اليوم في العالم يمكن لها أن توّظف هذه المفاهيم بحسب مصلحتها ، وكل الدول التي ترفض نفس التسمية والتوجه فإنها ستصنف ضمن الدول الإرهابية ، لهذا ليس من العقلاني التمييز من يمثل الإرهاب حقيقة لأنه في النهاية كلا الطرفين الغربي والإسلامي متطرف وكلاهما إرهابيان أو كلاهما بالأحرى يمثل الإرهاب، لذا يصعب التمييز بين الإرهاب وضد الإرهاب **Le terrorisme et l'antiterrorisme** الأمر الذي يجعل إرادة إعادة التفكير في الإرهاب وفي مفهوم الإرهاب ذاته أمر ضروري ، ولا يجب تتبع الإعلام لأنه دائما

يخدم الطرف القوي والمسيطر، والذي يتّهم مباشرة ليس فقط المتطرفين الإسلاميين بل المسلمين ككل ومهاجمة الإسلام كعقيدة. وكذا لابد من إعادة التفكير في العنف الذي يستخدم باسم العدالة ضد الأبرياء في العالم اليوم وليس في الحقيقة الهدف من ذلك نشر الديمقراطية بالمفهوم الأمريكي التوكفيلي نسبة إلى توكفيل، إنما هذا ينبع من السلطة ومن هيمنة التمركز العقلي على هؤلاء أو على الحضارة الغربية برمتها، وتبدو الظاهرة مستحيلة للعيان خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية وبعد انهيار المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفياتي كحامي أو كجدار يحمي هذا القطب ، أو بالأحرى نقول بعد اختلال التوازن بين القطبين وانهيار الثاني، حدثت هيمنة القطب الليبرالي وأضحت آلته تهدم كل شيء لصالح مصالحها فقط والدليل على ذلك أن الغرب والولايات المتحدة قامتا بتسمية كل الدول التي لم ترضخ لرغباتها وكذلك لو توافقها في نظرتها الإيديولوجية والسياسية بل ربما رفض الخضوع لها بالدول المارقة أو الحكومات المارقة (**Etats Voyous**)، وهذا ما يشير إليه دريدا في كتابه مارقون (**Voyous**): السياسة الداخلية للأنظمة الأقل ديمقراطية والتي لا تحترم دولة القانون،(Derrida, 2003 , p 137) إنها نظرة وتوجه زعماء الغرب اتجاه الدول التي لم تدخل معها في جنونها، لهذا فإن سياسة الغرب اليوم أضحت من الصّعب القول أنها بريئة اتجاه ما يتعاقب من أحداث لا تمس في الحقيقة بالغرب أو الشرق إنما هي تزلزل العالم كله مادام أصبحت كل نقطة في العالم مستهدفة من عدو مجهول.

إذن هكذا يستقصي دريدا الحدث ويذهب وراء الكلمات ووراء اللغة إذن يقول: إن شيئا ما رهيبا قد حدث في الحادي عشر من سبتمبر ولكننا لا نعرف في الحقيقة ما هو، ومع أننا قد أعربنا عن بالغ غضبنا حيال العنف، وعن بالغ أسفنا المخلص بخصوص أعداء الموتى... أعتقد دائما أن من الضروري أن أوجه اهتمامي أولا إلى الظواهر اللغوية وظواهر التسمية والتاريخ وإلى هذا القهر من التكرار البلاغي والسحري والشاعري في آن واحد... لا

لكي ننغلق في اللغة كما يحاول المتعجلون إقناعنا بذلك، وإنما على العكس من هذا من أجل أن نحاول أن نفهم على وجه الثقة ما يحدث فيما وراء اللغة وما الذي يدفع إلى الترديد بشكل لا نهائي 11 سبتمبر لذا يجب أن نعرف أكثر وأن نحافظ على حريتنا لكي نبدأ في التفكير في الأثر من أين أتى إلينا وكيف فرض علينا هذا الأمر الذي يمثل في حد ذاته تهديدا لنا؟(دريدا، مصدر ساب ، ص 54-55).

هكذا دعا دريدا إلى التعامل مع الحدث دون تضخيم، ثم إن الحدث هو غامض، وكل الأحداث الإرهابية غامضة في الحقيقة تحتاج إلى الحذر وعدم التسرّع في إصدار الأحكام ، خصوصا ما يوظّفه الإعلام من لغة وتكرار بلاغي وسحري وأحيانا شعري كما يقول دريدا ، إذن لا سبيل للإقناع وفق هذه الوسيلة ، إضافة إلى التهويل عبر الصورة ، كون هذه الدول أو هذه الأنظمة تمتلك ترسانة من الإعلام ومزود بأحدث التقنيات ، ومن خلال هذا الهول لهذا الحدث **Major évent** (المصدر نفسه ص56) نفهم أنه حدث فعلا شيئا خارق للعادة إنه اختراق للحضارة الغربية ولعمق جبروتها ، لقد حدث الاختراق للسيادة ، للمركزية إنه ربما لأول مرة بهذا الشكل الضخم ويقول دريدا في هذا الشأن: فالعالم بأسره وليس الولايات المتحدة فقط ينتابه شعور غامض بأن شيئا ما قد حدث أو تعرض للاختراق، وهذا الاختراق يبدو ليس فقط وكأنه اختراق لا سابق له في تاريخ الولايات المتحدة فهو أول انتهاك للأراضي القومية الأمريكية منذ ما يناهز القرنين أو على الأقل ذلك هو محتوى الاستفهام السائد باستمرار. ولكنه يبدو وكأنه اختراق من نوع جديد ماهي طبيعة هذا النوع ؟ قبل أن أجيب عن هذا السؤال ، أود التذكير ببعض الحقائق الدامغة: هذا الاختراق ينتهك أراضي دولة تقلد نفسها إضمارا دور السّيد بين الدول ذات السيادة وذلك حتى من وجهة نظر أعدائها وبالذات منذ ما يسمى بـ "نهاية الحرب الباردة" وهذا الدور يتيح لها أن تضمن وأن تنصب نفسها الوصي على نظام العالم بأكمله ، وليس فقط بسبب غناها ونفوذها التقني والعلمي والعسكري ولكن بسبب الدور الذي تلعبه كحكم في كافة المنازعات وبسبب حضورها المهيمن في مجلس الأمن والكثير من المؤسسات

الدولية الأخرى وذلك على الرغم من أنها لا تحترم وبشكل لا تعاقب عليه... فهي الوحدة المزعومة للقوّة والقانون معا كما يتيح لها تمثيل القوة العظمى للقانون وخطابه (المصدر نفسه ص67) وهذا بعينه ما يسمى الحصانة الذاتية في نظر دريدا ، إنه الدّور الذي تلعبه الولايات المتحدة والغرب اليوم ونفوذه في العالم هو في الحقيقة عنف **violence** إلى حد ما، وهذا بطبيعة الحال بشكل من الأشكال في صورة حضارية بالأحرى باسم الديمقراطية واحترام الشّعوب والأقليات ولكن في الواقع هي هيمنة في نظر دريدا. مما يجعل هذا الغرب معرض للرّد أو للعنف الدائري أمام كاميراتها الخاصة ، يأتي إليها من الداخل ويستولي على السلاح من الداخل ثم القيام بعمليات انتحارية التي تمثل الحصانة الذاتية في ظل ديمقراطي(Charles Ramond, (2007),op cit, p143.) ، ولكن في الواقع وفي نظر دريدا هذا الغرب هو سبب مباشر أيضا لظهور هذا الإرهاب وذلك بتهيئته للمناخ وذلك ما قامت به من تطهير سياسي في الشرق وفي ليبيا وهذا الأمر مواتي بطبيعة الحال لظهور قوى هؤلاء الأشخاص، ولكي تنقلب هذه القوى عليها، إنه انهيار التمركز من هذا المنطلق كما إنهار تمركز الفرنسيين في نظرتهم إلى إرهاب الجزائر أثناء حرب التحرير 1954-1962 إذ كانت فرنسا في البداية تتحكم في الأوضاع وبعد اندلاع الحرب وصف الجزائريون المحاربين عن بلادهم بالإرهابيين بسبب اعتبار الجزائر ملك لفرنسا وهو ما يسمى الجزائر الفرنسية ، لكن سرعان ما تغيرت الأسماء وتحوّل الإرهابيون إلى مجاهدين، وكذا دون أن ننسى إرهاب فرنسا في الجزائر بقمعها للجزائريين وكانت تصفه فرنسا عملية من عمليات البوليس والأمن الداخلي(دريدا، مصدر سابق ، ص 84).

ومن جانب آخر إنّ الحديث عن أصل الإرهاب وسببه يبقى دون تحديد بالضبط فهو عدوان خفي وقد تكون أسبابه (عرقية، دينية، اقتصادية، سياسية) دون أن نفوّت الحديث عن دور إسرائيل والسعودية وعلاقتها مع أمريكا إذ تلعب أو تؤدي معها دور الزبون والحامي، وكذا إسرائيل التي لا تأخذ بعين الاعتبار القانون الدولي وقرارات هيئة

الأمم المتحدة ، إن النظرة تفكيكية تستوجب أن تمس هذا القانون الدولي اليوم المليء بالعيوب، ووفي هذا المجال يدعو دريدا إلى احترام المؤسسات الدولية واحترام مداولاتها وقراراتها وبالخصوص أصحاب العضوية فيها وذات السيادة فيها، وهنا يرى أو يلمح دريدا إلى بعض التقصير من طرف الدول الغربية عن التزاماتها اتجاه العالم ذلك كما يقول دريدا نفسه، وهذا التقصير يعود إلى بنية القواعد والمبادئ التي يتشكل منها هذا القانون الدولي، كما ينتج أيضا عن التقصير في المواثيق والاتفاقيات التي تنظم هذا القانون ، لذا فإن مساءلة هذه القواعد والمبادئ ونشرها عالميا دون توقف يظهر التقصير في عدم وضع إجراءات رادعة لإسرائيل لما تقوم به من انتهاكات لحقوق الإنسان في فلسطين ، لذا يرى دريدا أ هذه الطريق طويلة ومهّمة ضخمة وخطيرة وطويلة الأمد وهنا يطرح دريدا تصور ويفترض أن يتم تعديل هيئة الأمم المتحدة وتركيب ميثاقها ويجب على مجلس الأمن أن يستحوذ على قوة كافية للتدخل من أجل تنفيذ قراراته دون الخضوع للدول القومية القوية والغنية والمهيمنة فعليا أو ضمنيا.(المصدر نفسه، ص 114).

2.2 مراسيم وأفق العالم الجديد:

يدفع بنا دريدا إلى أفق أخرى أو إلى نظام عالمي جديد تحترم فيها القوانين وتصان فيه الحقوق من منطلق تفكيكي وليس من منطلق أخلاقي، دون نسيان أن دريدا نفسه يرى في طبيعة هذا الأفق الذي رسم معالمه بهذا الشكل يبدو وكأنه خيالي ، أي الأفق الخاص بمؤسسة دولية للقانون أو محكمة العدل الدولية والتي يجب أن تتمتع بقواها المستقلة الخاصة (المصدر نفسه، ص 114) ، ويرى دريدا أيضا أنه لا يعتبر القانون هو الكلمة الأخيرة للأخلاق والسياسة، واتحاد القانون لا يجب أن يكون طوباويا بل يجب أن يكون إشكاليا كما يقول دريدا **Aporétique** ، لهذا فإن الدولة القومية أو الديمقراطية يجب وضع أسسها الأنطولوجية واللاهوتية موضع المساءلة والتفكيك، أي يجب إعادة صياغة شكل جديد للسيادة **La souveraineté** والتي تعني اتخاذ القرار بشكل فردي وكذلك

محاولة الفصل بين السيادة واللاشرطية، وهي لا تخضع لقاعدة الحق Charles Ramond, (,op cit,p151).

كما يجب إعادة تأسيس شكل جديد للقانون المطلق الذي يجب أن يتمتع بكل القوى المستقلة التي يحتاج إليها، ويقول دريدا أيضا فإنني ما زلت مصرا على اعتقادي بأن الإيمان في إمكانية هذا الشيء المستحيل، هو في الحقيقة الشيء الذي لا يقبل االلّاقرار **Indécidable** وهو ما يجب أن يوجه كافة قراراتنا دريدا(مصدر سابق ، ص 115) ، إن الاستراتيجية الدريدية هنا ليس وصف أو تشخيص وتقديم الحلول للإرهاب والعمليات الإرهابية والشفقة على الضحايا وعلى الأمن العالمي الذي أضحى يتهدد، إنما هدف دريدا هو تبيان وتشخيص آثار هذا الحدث على تقويض مفهوم السيادة والمركزية في الحداثة الغربية، لهذا فإنه يمكن القول أن تناول دريدا لمثل هذه المسألة التي تعد مسألة سياسية وأخلاقية بامتياز هو ليس الطموح إلى إقامة سياسة أو أخلاق للتفكيك ، إنما هدفه هو نقد المبادئ والقوانين، والسيادة والعدالة الدولية والقوة والعنف التي تعتبر كلها مفاهيم ميتافيزيقية تكرس ميتافيزيقيا الحضور الغربية، لهذا فإنّ فيلسوفنا يفترض أن تكون هناك مساهمة يقوم بها فلاسفة بمقدورهم القيام بهذه المهمة في أوروبا.

3. تفكيك عقوبة الإعدام:

لم تكن عقوبة الإعدام محل اهتمام الفكر الفلسفي ولم تلفت اهتمام الفلاسفة منذ القديم ، ويظل جاك دريدا الفيلسوف المتميز الذي يتناول عبر تفكيكية ملف عقوبة الإعدام (**La Peine de Mort**) وهي عنده لا تعني ظاهرة أو مادة من قانون العقوبات إنما هي الفكرة التي تجمع بين الفلسفة والسياسة فهي مثل الموت أو الخاص بالإنسان) **(**Derrida 1999-2000p 11.**)**.

وقد عمل دريدا على تكريس كتابين وهما في الحقيقة عبارة عن ندوات أو محاضرات عرضها في محاضراته وملتقياته وهي (الحيوان والسيادة) **La Bête et le Souverain**، أين

عالج فيها وبشكل دقيق مشكلة الملكية أو الخاص **le propre** بالنسبة للإنسان والحيوان، لكن المشكلة الحقيقية في هذا العمل الذي قام به هي لماذا تم استثناء عقوبة الإعدام في الحديث الديني والسياسي وكذلك الأخلاقي؟ يرى دريدا وهو مندهش في قضية عدم التشكيك في مشروعية عقوبة الإعدام عبر تاريخ الفلسفة برمته ، خصوصا أن الأمر يمس كرامة الإنسان بالأحرى يمس حياة الإنسان الذي شرّع عقوبة الإعدام

1.3 السياسة وعقوبة الإعدام:

السؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا لم يلتفت السياسيون والفلاسفة إلى عقوبة الإعدام مثل ما فعل دريدا؟ دون ربما أن نستثني مواقف كانت غامضة أحيانا إزاء عقوبة الإعدام؟ في نظر دريدا عقوبة الإعدام في الدول الغربية نابعة في الحقيقة من الأصل المسيحي اللاهوتي واتحاده مع السياسة و تغذت هذه الفكرة في الأساس من مفهوم التضحية المسيحية وتقبل الموت من أجل التطهير من الذنب والحصول على الغفران، إذ يتم فيه تقبل ندم المذنب ويحصل على العفو **le pardon** بعد تقديم روحه عربونا لأجل التكفير عن الخطيئة والذنب، وفي ظل تحالف الدين أو اللاهوت مع السياسة لا يمكن تصور إلغاء عقوبة الإعدام، وفي نظر دريدا لا يمكن تصور ذلك إلاّ في دولة علمانية يتم فيها الفصل بين الدين والسياسة ،وفصل الدين عن الدولة و تكون الدولة بذلك متحررة من التزامات دينية وما تمارسه هذه الأخيرة من ضغط على السلطة السياسية في تنفيذ هذا النوع من الأحكام ، هكذا تصبح السلطة السياسية هي التي تقرّر الموت وتنفذه وفق التشريع الديني الذي يمنح الحصانة للجهاز السياسي في ارتكاب هذا النوع من القتل للإنسان.

هكذا يكون الإنسان أو النظام السياسي المتحّد مع اللاهّوت أن يمارس سيادته وحريته في إزهاق أرواح المواطنين وبشكل فضيع أحيانا وهذا يدل حسب التفكيك الدريدي على حضور التمركز العقلي**logocentrisme** .(Charles Ramond, op cit, p149-150).

أي يصنف دريدا عقوبة الإعدام ضمن ما يسمى التمركز العقلي والديني في الحضارة الغربية لقرون طويلة تمكن فيها رجال الكنيسة والسياسة من فرض تمركزهم العقلي والديني على حساب حياة المواطن أو الآخر، ليس فقط هذا إنما هناك ما يسمى تمرّد على حياة الآخر، إذا كانت حياة الآخر أو الخاص **le propre** فيه تتجسد الأشياء التي يملكها الفرد وتعد جوهرية كونها مرتبطة بالخاص والملكية فإن الحياة أو حق الحياة يعد بهذا هبة الحياة مقابل هبة الموت، ولما كانت هبة الحياة هي إنسانية وحيوانية أراد الآخر أن يتعدى عليها بهبة الموت **donner la mort** على حساب هبة الحياة ، يقوض دريدا الأصل عبر فكرة لا شيء يجب أن يمنحه الإنسان لآخر لا هبة الموت ولا هبة الحياة ، إنها أمور طبيعية حتى لا نقول أنها خاصة **propre** خاصة بالإنسان أو بجنس الحيوان عموما ، لذا نقول أن عقوبة الإعدام يتم فيها إعطاء الموت مقابل نزع الحياة أو القتل، لهذا ليس هناك شيء خاص، الموت والحياة ليس شيء خاص بالإنسان إنما أيضا مرتبطة بالحيوان ، لذا فعقوبة الإعدام إنما تدل على القوة والتمركز وملكية أرواح الآخرين وحقهم في الحياة أو الاستيلاء على أرواح الآخرين التي هي ليست ملكا لهم لأنها لو كانت لهم لما تم انتزاعها، لهذا يمكن القول أن دريدا يتصور أن الدولة الحقيقية **l'état authentique** هي التي لا توظّف سيادتها لأجل الهدم من خلال القتل والفتك، إنما هي تلك التي لا تمارس سيادتها عن طريق إزهاق أرواح مواطنيها المدنيين بحكم الإعدام، إذ أنّ السيادة والسلطة تكمن في حق الدولة بالتدبير الاستثنائي ، من خلال حق الدولة في تجاوز القانون في حالات استثنائية لتعزز من سيادتها، وإذا ما رجعنا إلى مسألة تفكيك عقوبة الإعدام نقول أنها مسألة متعلقة بالتمركز العقلي بالدرجة الأولى وهي قائمة في الأساس على أسس ميتافيزيقية كما ذكرنا سابقا سواء بالنسبة للتمركز العقلي أو بالنسبة لعقوبة الإعدام ذاتها، لأنه في النهاية تفكيك عقوبة الإعدام هو تفكيك للبعد الديني والأخلاقي للحضارة الغربية ، بحيث يقول دريدا في هذا الشأن: (جوهر الدولة أو السلطة التي لها سيادة يتمثل

في الحق في الإعلان (**Prononcer**) وكذلك تطبيق أو تنفيذ عقوبة الإعدام.(Raoul Moati, 2013,p2.**)**.

هكذا نفهم أن دريدا أيضا له موقف نقدي اتجاه تطبيق عقوبة الإعدام باعتبار ذلك كما رأينا سلوكا نابعا من تمركز ومن أوهام ثيولوجية ميتافيزيقية مرتبطة بمصالح سياسية منها الاستبداد، ومن جهة أخرى نقول أيضا ينتقد دريدا دعاة إلغاء عقوبة الإعدام **les abolitionnistes** لأنه في النهاية هناك ما هو أكثر قسوة من عقوبة الإعدام مثل الأشغال الشاقة مدى الحياة فهي عقوبة أكثر قسوة وهي لاإنسانية في جوهرها، ثم إنّ عقوبة الإعدام اليوم نتيجة لتطور الطب يمكن تخدير الشخص ولن يحس بهذه العقوبة تماما ، وهناك فعلا إشكالية في هذا المجال نجد مثلا بينوا باس**Benoit Basse** يوضّح لنا هذه المسألة عقوبة الإعدام تروح عموما بين الأشغال الشاقة والقتل Benoît Basse,(2013),p10)). لذا إذا كان الأمر مرتبط بقسوة الألم من خلال الإعدام فحتى الأشغال الشاقة لا تخلو من ذلك ، لهذا يرى دريدا أن عقوبة الإعدام سواءا تم إلغاؤها أم لا فإنها تبقى تلوح على الأفق بأشكال أخرى حيث يقول في هذا الشأن ما يلي: بعض الحكومات والدول الديمقراطية الحديثة الذين قاموا بإلغاء عقوبة الإعدام ، تحتفظ بحق سيادي حول حياة المواطنين، ولكنهم من جانب آخر يرسلون إلى الحروب ليقتلوا أو يقتلوا وذلك في فضاء خارجي يختلف تماما عن الفضاء الداخلي للمساواة الداخلية، للحق المدني أين عقوبة الإعدام يمكن أن تكون سارية المفعول أو ملغاة Derrida, 1999- 2000, p 28).

لم يهدأ دريدا ولم يطمئن لدعاة عقوبة الإعدام ولا للمطالبين بإلغائها وهذا انطلاقا من الحجج والبراهين التي تم تقديمها ، إنّ تطبيقها هو قوة وعنف وقسوة وتمركز عقلي وسياسي تيولوجي وإلغاؤها يعني عدم توفر الحجج لذلك حسب ما قدمناه في التحليل السابق يكفي ما قاله دريدا في هذا الشأن: إذا كان مبدأ عقوبة الإعدام هو مبدأ سلبي بسبب قسوة تطبيقية، يكفي من جعل عقوبة الإعدام لا شعورية **insensible** وكذلك

مخدرة (**Anesthésiée**) هكذا يمكن اللعب على منطق دعاة إلغاء عقوبة الإعدام (**le discours abolitionniste.** (Ibid, p 83)

إذن بهذه التساؤلات الدريدية النابعة عن الفهم الجينيالوجي لحقيقة عقوبة الإعدام نقول فكك دريدا هذه الفكرة التي لم يلتفت إليها أولا بجعلها في الهامش، ثم قام بإظهار حقيقة واصل هذه الفكرة التي هي محل جدل في الأوساط السياسية ومنظمات حقوق الإنسان ولكن دون النظر ربما إلى حقيقتها وأبعادها بل وضعها اليوم، هكذا إذن نفهم أن دريدا بهذا العمل التفكيكي لعقوبة الإعدام الذي يعتقد البعض أنه متعاطف مع إلغاء هذه العقوبة وأنه خلال بذلك يتجه نحو أخلقة التفكيك ، لكن في الحقيقة لم يهتم دريدا بذلك اكثر من اهتمامه بتفكيك متافزيقا الحضور أثناء قراءته وتناوله لمثل هذه النصوص، فلا تهمه هنا مشكلة الإلغاء تماما إنما ما يهمه هو عقوبة الإعدام ذاتها كمفهوم وكسلوك وكفكرة فلسفية.

4. خاتمة:

من خلال هذا التحليل لا يسعنا إلا أن نقول أن العنف من تأسيس سياسي بحت وميلاده لا يكون إلا بسبب تمركز مادي أو فكري مع رفض الأخر، وهذا ما يتجلى في تاريخ الفكر الغربي من حضارته الأولى" اليونانية" وهو ما يبينه دريدا في نصوص عديدة و لم يمس اتجاه التفكيك الدريدي فقط كما أثبتنا ذلك جانب فقط من الفلسفة الغربية بل استهدفت أولا الركيزة الأساسية للفلسفة الغربية أو الفكر الغربي بكامله وهي ميتافيزيقا الحضور التي بني عليها الفكر الغربي برمته ليتتبع دريدا تفكيك هذه الفكرة وفي كل فترات عمله الفكري دون استثناء ، من مشكلة الزمن عند أرسطو وفكرة الكتابة عند سقراط إلى هوسرل ، وأرتو ، وروسو وليفي ستراوس ، فرويد ليفيناس وهيدجر ...الخ كما عرّج دريدا إلى تفكيك المستجدات في كل فترة من فترات عمره الفكري ، فدريدا كان حاضرا مسجلا رأيه ومواقفه في كل القضايا ليس فقط الغربية بل حتى العالمية خصوصا القضايا

الإنسانية ،ومن التحليل السابق توصلنا إلى النتائج الأتية منها تفكيكية دريدا هي استراتيجية مست تقريبا كل حيثيات المشاهد الفكرية الغربية وحركتها ولم تستثني تفكيكية دريدا المشاهد الحديثة والمعاصرة لاسيما في الفترة الأخيرة ، إذ شغله الرّعب والإرهاب والضيافة والعفو والكينونة .

- ولم يقم دريدا بإعادة تفكيك المفاهيم المستعملة اليوم في الخطابات السياسية واليومية كالإرهاب والتسامح والعنف والقانون بالعودة إلى التراث عصر الأنوار خصوصا المقاربة الكانطية أو بالعودة للأخلاق الأرسطية ، ولكن قام بذلك مع فهم خصوصية الثقافات الأخرى .

- ومن جانب آخر يمكن القول أن دريدا في تفكيكه للمفاهيم الأخلاقية لا نحس فعلا ولا نفهم بذلك أنه تأثر بها حتى يمكن اتهامه بذلك كما فعل المعلّقون في مسألة فرضية التحوّل العملي في عمله الفلسفي ، إذ نلمس عند دريدا نبرة تفكيكية فحسب في حصره لهذه المفاهيم ، إن تفكيك دريدا لمسألة العدالة ، والضيافة والعفو والحق والهبة هو في الواقع استقراء وكذا محاولة إظهارها كما هي في الواقع مع الكشف على جانبها وطابعها الميتافيزيقي ، فالعدالة ومعظم هذه المفاهيم التي تبدو مرتبطة بالأخلاق وبالقواعد الأخلاقية ينفي دريدا أصلها و إمكانياتها فهي في نظره مستحيلة وفي الغالب هي مرتبطة بأفكار ميتافيزيقا الحضور الغربية .

- التفكيك هي الاستراتيجية التي يستخدمها دريدا في القراءة والكتابة وكذا أيضا شكل من أشكالها ومظهر من مظاهرها ، يبقى هذا الشكل محدودا بالضرورة كما يرى دريدا نفسه ، وهو بهذا تحدده مجموعة من السّمات السياقية المفتوحة (اللغة ، التاريخ ، الساحة الأوربية) بحيث أن هناك تفكيك وتفكيكات في كل مكان . لهذا نقول أن اتجاهات التفكيك عند دريدا قد أخذت أشكالا عديدة حاولت أن تمس جوهر اللاتوازن وكذا السياسة ، فإنه حسب إجابة دريدا في أكثر من موضع يثبت ذلك عكس ما ذهب إليه هؤلاء سياسيا .

- يمكن القول أنّ تفكيك الأخلاق والسياسة والمسؤولية مسألة ضرورية ولا يمكن بتاتا لأي كان أن يطرح تساؤل أخلاقي أو سياسي كما هو اليوم في النقاش والحوار ، ألم يقول دريدا في كتابه علم الكتابة 1967 لا يمكن أن يكون هناك حضور الآخر وأيضا غيابه ،

- وإذا كانت مهمة الفيلسوف والمفكر الحديث والمعاصر هي التفكير في قضايا عصره (son actualité) وتوجيه انتقادات فوظيفته لا تنحصر فقط في طرح تشخيصي ، ولكن أيضا هناك امتلاك قدرة التحليل (كتفكيك) ، لهذا فإن التفكيك يؤجل بعد التشخيص وهذا ما يجعل التحوّل شيء ممكن ، ليس تحوّل القطيعة ولكن التحوّل المستمر في شكل انتقال من موضوع إلى آخر ومن فيلسوف آخر ومن قضية إلى أخرى مع مراعاة الانسجام والمعنى .

إن ولوج دريدا إلى معضلة الأخلاق ضرورة استلزمتها استراتيجية التفكيك ذاتها فلا شيء يصمد أمام التفكيك ، فإذا كانت الميتافيزيقا هي الأولى المستهدفة فكيف تصمد الأخلاق بعدها ، وينبغي الإشارة إلى شيء هنا وهو أن ارتباط الأخلاق بالمعضلة هو ارتباط دريدا نفسه بالمعضلة ، فالمعضلة ليس فقط مفهوم مثل المفاهيم الأخرى عند دريدا ، ولكن هي في الحقيقة طريقة دريدا نفسها في التفكير إنها مصدره وسلوكه الفلسفي بامتياز.

5. قائمة المراجع:

1 - جاك دريدا، (2003)، ما الذي حدث في 11 سبتمبر مقدمة الكتاب، ترجمة صفاء فتحي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة

المراجع باللغات الأجنبية:

2 - Benoît Basse,(2013), « John Stuart Mill et la question de la cruauté de la peine de mort », Revue d'études benthamiennes [En ligne], 12 | 2013, mis en ligne le 10 décembre 2013, consulté le 28 janvier 2017. URL : http://etudes-benthamiennes.revues.org/683.

3- Charles Ramond, (2007),élément d'un lexique politique, presses universitaires de France, 2(n°30),

4- Jacques Derrida (1999-2000) Séminaire (La Peine de Mort-), éditions Galilée, Paris.

Raoul Moati, (2013), Pouvoir et mise a' mort, Publié dans la vie des idées.fr, le 24 avril.

5- Jacques Derrida ,Jürgen Habermas, (2004),le concept du 11 septembre,dialogue a' new york(octobre ,decembre 2001) avec Giovana Borradori ,éditions Galilée.

6- Jacques Derrida, (2003), Voyous, éditions Galilée, paris.